

وقفات ووجهات نظر عن التعليم العام والعالي في الجنوب السعودي

(١٣٥٤ - ١٤٣٩ هـ / ١٩٣٥ - ٢٠١٨ م) (*)

أ.د. غيثان بن علي بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، لغيثان بن

جريس، (الجزء الخامس عشر)، (الطبعان الأولى والثانية) (الرياض: مطابع

الحميضي، (١٤٤٠ هـ / ٢٠١٩ م)، (١٤٤٢ هـ / ٢٠٢٠ م)، ص ص ٣٣٢ - ٣٤٩.

وفي هذا القسم ننشر ثلاث مشاركات في ميدان التعليم العالي والعام، وهي: (١) وقفات ووجهات نظر عن التعليم العام والعالي في الجنوب السعودي (١٣٥٤-١٤٣٩هـ/١٩٣٥-٢٠١٨م) ^(١). (٢) قصتي مع التعليم في جنوب المملكة العربية السعودية (١٣٨٢-١٤٢٢هـ/١٩٦٢-٢٠٠٢م)، وهذه المشاركة لأحد الأساتذة المتعاقدين الرواد، الذي تنقل في مناطق عديدة من بلاد تهامة والسراة ^(٢). (٣) من الذكريات والمشاهدات عن التعليم العالي في منطقة عسير (١٣٩٨-١٤٢٩هـ/١٩٧٨-٢٠١٨م)، وهذا العمل أيضاً لأستاذ جامعي عاصر بدايات التعليم العالي في مدينة أبها ومنطقة عسير ^(٣).

ثانياً : وقفات ووجهات نظر عن التعليم العام والعالي في الجنوب السعودي (١٣٥٤-١٤٣٩هـ/١٩٣٥-٢٠١٨م) بقلم أ.د. غيثان بن علي بن جريس

م	الموضوع	الصفحة
أولاً:	تمهيد	٣٣٣
ثانياً:	لمحة عن التعليم العام في الجنوب السعودي	٣٣٥
ثالثاً:	نبذة عن التعليم العالي في الجنوب السعودي	٣٣٩
رابعاً:	آراء واقتراحات ووجهات نظر	٣٤٦

(١) سميتها (وقفات ووجهات نظر) ذكرت فيها نبداً يسيرة عن هذا المجال الواسع، وأمل أن نرى باحثين ومؤرخين جادين يدرسون الحياة العلمية والتعليمية والثقافية والفكرية في هذه البلاد الغنية بتراثها وموروثها الحضاري.

(٢) وهذا الرائد هو الدكتور محمود شاكر سعيد، وهناك عشرات الرواد الأوائل المتعاقدين والوطنيين، وما زال بعضهم على قيد الحياة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، حبذا أن نرى بعض الباحثين الجاديين الذين يسعون إلى الالتقاء ببعضهم، وجمع بعض أقوالهم وذكرياتهم عن التعليم والحياة العامة في مناطق جنوب المملكة العربية السعودية خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) وبدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م).

(٣) هذا الأستاذ هو الدكتور/ صالح بن علي أبو عراد الشهري، ونشكره على هذه المبادرة، وأعلم أن هناك أساتذة من بلاد تهامة والسراة، أكبر منه سناً، وتخرجوا في التعليم العالي قبله، وما زال أكثرهم على قيد الحياة، وقد اتصلت ببعضهم وطلبت منهم أن يدونوا لنا ذكرياتهم مع التعليم العام والعالي في عسير أو جنوب المملكة العربية السعودية، إلا أنهم تقاعسوا وأو اعتذروا، وأقول لهم من على صفحات هذا الكتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) أن عليكم مسؤولية كبيرة تجاه أبنائكم وطلابكم والأجيال القادمة، فانقلوا لهم ما عرفتموه وعاصرتموه في ميدان التعليم وغيره حتى يعرفوا شيئاً من تاريخ هذه البلاد وحضارتها.

أولاً : تمهيد :

عندما نقول الجنوب السعودي، فالمقصود به بلاد تهامة والسراة الممتدة من الطائف وجنوب مكة المكرمة إلى منطقتي جازان ونجران. وهذه الأوطان مأهولة بالسكان منذ آلاف السنين، كما أنها متنوعة في تضاريسها، ومناخها، ومواردها الطبيعية، وإذا درسنا تركيبها البشرية فهي موطن لعشرات القبائل والعشائر العربية القحطانية والعدنانية، وما زال التشكيل القبلي هو السائد في هذه البلاد حتى اليوم. نعم إن هذه الديار تعيش في وقتنا الحاضر تحت سلطة دولة حديثة هي (المملكة العربية السعودية)، والمؤسسات الإدارية في الدولة هي التي تسوس البلاد والعباد، وتحافظ على أمن وكيان الأمة، إلا أن القبيلة ما زال لها تأثير على أبنائها، فإليها ينتسبون، ومن خلالها يذهبون ويعودون، والدولة لا تمنع هذا الانتماء، لكنها تسعى وتحرص أن يكون الجميع تحت إمرة الوطن الكبير الذي يعزز الهوية الوطنية، ويحث على الأخوة والتآلف والتراحم لخدمة الدين والوطن^(١).

والعلم والثقافة من الركائز الأساسية لبناء أي مجتمع، والدارس للحياة العلمية والتعليمية في بلاد تهامة والسراة قبل ظهور الدولة السعودية الحديثة (المملكة العربية السعودية) فإنه لا يستطيع انكار عدم وجود شيء من ذلك، لكنه لم يكن منظماً، ويشرف عليه مؤسسات إدارية متخصصة. وأوطان السراوات وتهامة كانت على علاقات اقتصادية واجتماعية، ودينية. بمن حولها من البلدان وبخاصة بلاد اليمن والحجاز^(٢)، ولهذا فإن بعض أبنائها كانوا يذهبون إلى بعض الحواضر الحجازية واليمينية ليتلقوا بعض العلوم والمعارف العربية والشرعية، ثم يعودون إلى أوطانهم، ويتولون الإشراف على تعليم أبنائهم، وقضاء حوائج الناس، مثل: إبرام عقود الأنكحة، وإمامة الناس في

(١) من يدرس أحوال هذه البلاد، أو عموم أجزاء المملكة العربية السعودية خلال العقود الأولى والوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م)، فإنه يجد الفوضى ضاربة أطنابها في كل مكان، وكانت القبيلة صاحبة الحل والعقد في بلادها، وكل عشيرة أو قبيلة مستقلة بذاتها، ولا يربطها رابط واحد يوحد قرارها ويسوس بلادها. وعندما جاء الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل (يرحمه الله) استطاع أن يوحد البلاد والعباد تحت راية التوحيد، ويقضي على الحروب والصراعات القبلية التي كانت ديدن الناس آنذاك، وينشئ مؤسسات إدارية تقوم بالإشراف على حفظ أمن الناس وقضاء حوائجهم بطرق حضارية متمدنة، وهذا ما أوصل جميع بلدان المملكة العربية السعودية إلى حياة متطورة في جوانب حضارية عديدة.

(٢) كان التعلم والتعليم في اليمن والحجاز قديماً منذ فجر الإسلام، واستمر عبر أطوار التاريخ، والرحلات العلمية إلى هذه الأوطان من داخل الجزيرة العربية وخارجها مستمرة، وهناك عشرات المصادر والمراجع التي فصلت الحديث في هذا الجانب. وبعض رجالات السراوات وتهامة كانوا ممن هاجر إلى اليمن والحجاز للحصول على بعض العلوم والمعارف. وهناك الكثير من الوثائق الحديثة التي أشارت إلى أعلام سروريين وتهاميين تعلموا في الحجاز واليمن خلال القرون الثلاثة الماضية المتأخرة.

الجمع والجماعات، وتقسيم الموارد، وتبصير الناس في عباداتهم^(١).

ومن خلال قراءتي في بعض المصادر، والوثائق، والمراجع، ورحلاتي في الجنوب السعودي خلال الثلاثين عاما الماضية، اتضح لي أمور عديدة نذكر أهمها في النقاط الآتية:

١. كانت أوطان الجنوب السعودي وبخاصة المرتفعات السروية من الطائف إلى نجران، ومناطق الأصدار، والعروض التي تقع عند سفوح السروات من الغرب^(٢)، من أقل البلاد نصيباً في التعليم والثقافة والمعرفة، وربما السبب في ذلك صعوبة تضاريسها، وانزوائها في مواقعها، وانشغال أهلها بالمهن التي يقتاتون منها كالرعي، والزراعة، وممارسة بعض الحرف والصناعات التقليدية المحلية.
٢. ظهور بعض الكتابات وبيوتات العلم في جازان، والبرك، والقنفذة، وفي بعض القرى السروية الممتدة من نجران إلى الطائف^(٣). وكان القائمون على هذه البيوت والكتاتيب بعض أبناء تهامة والسروات الذين رحلوا إلى جازان أو اليمن أو الحجاز أو نجد أو غيرها خارج شبه الجزيرة العربية، وحصلوا على قسط من العلم اللغوي والشرعي ثم عادوا إلى أوطانهم ومارسوا مهنة التعليم والوعظ والإرشاد^(٤)، وهناك فئة أخرى جاءت من خارج الجنوب السعودي، وأقاموا في بعض القرى أو الحواضر ومارسوا مهنة التدريس في الكتابات والمساجد وغيرها، وبعض هؤلاء أرسلوا من قبل الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل ليعلموا الناس القراءة والكتابة، ويرشدونهم في أمور دينهم^(٥).

- (١) اطلع الباحث على وثائق وإجازات عديدة لطلاب علم من بعض بلدان السروات وتهامة ذهبوا إلى بعض علماء الحجاز، أو اليمن، أو مصر والسودان وتلقوا على أيديهم بعض العلوم والقراءات ثم عادوا إلى ديارهم في القرنين (١٢-١٤هـ/١٩-٢٠م) وقاموا على تعليم الناس وإرشادهم إلى كل خير.
- (٢) مثل تهامة قبائل الطائف، وبلدتي قلوّة والمخوة في تهامة غامد وزهران، والعرضيات (تهامة محافظة بلقرن)، وخاط، والمجاردة، وبارق، ومحائل عسير، ورجال ألمع، ودرب بني شعبة، وفيفا وبني مالك، وجبال قيس والعارض، وتهامة قبائل شهران وقحطان.
- (٣) هناك بعض المصادر والمراجع المنشورة، وبعض المدونات والرسائل العلمية والوثائق غير المنشورة التي أشارت إلى أسر، وكتاتيب، وأعلام ظهوروا في الجنوب السعودي خلال القرون الثلاثة الماضية (ق١٢-١٤هـ/ق١٨-٢٠م). ونأمل أن نرى باحثين جادين يدرسون هذا الميدان في كتب وبحوث علمية مطولة.
- (٤) سمعت أثناء رحلاتي في السروات وتهامة خلال العقود الثلاثة الماضية أسماء كتاتيب عديدة، وأسماء معلمين من سكان الجنوب السعودي كانوا يتولون تعليم الناس والإشراف على وعظهم وإرشادهم. ومعظمهم عاشوا خلال القرن (١٢هـ/١٩م)، والعقود الأولى والوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م). ونأمل أن نرى باحثين جادين يدرسون تاريخ تلك الكتابات وأولئك المعلمين.
- (٥) بعض المصادر والمراجع المنشورة أشارت إلى بعض أولئك المعلمين والمرشدين الوافدين، وما زال هناك مئات الوثائق غير المنشورة التي أشارت إلى بعض أولئك المعلمين والدعاة الذين أرسلوا من قبل الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن إلى مناطق عديدة في الجنوب السعودي.

٢. لم تخل مناطق جازان، وعسير، والباحة، والقنفذة، ونجران، والطائف من معلمين وطلاب علم قبل ظهور الدولة السعودية الحديثة (المملكة العربية السعودية). والقارئ لتاريخ الإمارات والقوى السياسية التي حكمت أوطان السروات وتهامة منذ القرن (١٢هـ/١٨م) إلى العقود الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م) فإنه يجد علماء ظهوروا في جازان، ورجال المع، وسروات الطائف، والباحة، وعسير، وكان لبعضهم مؤلفات وصلنا البعض منها، وآخرون لهم مدونات، أو مراسلات، أو وثائق تعكس بعض جهودهم العلمية والتعليمية. بل إن بعض الأمراء والساسة الذين حكموا البلاد في تلك الفترة كان لهم جهود حسنة في خدمة العلم والعلماء^(١).

٤. من أهم انجازات الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن إدراكه بأهمية جمع شتات الأمة على راية واحدة، وذلك لم يحدث إلا بنشر الوعي والفكر والثقافة بين الناس، وإذا كان جاهد وحارب من يسعى إلى نشر الفوضى في البلاد، وقد قطع في ذلك شوطاً كبيراً، إلا أنه في الوقت نفسه عمل على صقل أرواح الناس، فجمعهم على تطبيق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وارسل الدعاة والرسائل التي توضح للفرد والجماعة الحقوق والواجبات، ثم اجتهاده في تأسيس مؤسسات إدارية، وسياسية، واجتماعية، ودينية، واقتصادية، ومالية، وتعليمية حديثة^(٢).

ثانياً : لمحة عن التعليم العام في الجنوب السعودي :

عسير أول أجزاء الجنوب السعودي التي دخلت تحت لواء النفوذ السعودي الحديث^(٣)، وذلك في نهاية الثلاثينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم تتألت بقية الأجزاء حتى صارت جميع بلاد تهامة والسراة جزءاً رئيسياً من دولة الملك عبدالعزيز ابن

(١) من يدرس تاريخ إمارة آل المتحمي في عسير، وبعض الإمارات التي قامت في منطقة جازان في القرن (١٢هـ/١٩م)، وإمارة آل عائض، أو النفوذ العثماني في عسير خلال القرنين (١٢-١٤هـ/١٩-٢٠م) فإنه سيجد أسماء كتاتيب وعلماء وطلاب علم كانوا يمارسون بعض النشاطات العلمية التي تصب في خدمة الناس. وما زال هناك مصادر مخطوطة ومطبوعة وكذلك وثائق منشورة وغير منشورة تحتوي على معلومات جيدة تصب في خدمة هذا الموضوع، ونأمل أن نرى باحثين جادين يدرسون هذه الموضوعات في هيئة كتب أو بحوث علمية موثقة.

(٢) لا ننكر وجود مثل هذه المؤسسات عند الإمارات والحكومات التي سبقت عهد الإمام عبدالعزيز بن عبد الرحمن، إلا أنها كانت في مستوى متواضع مقارنة بالادارات الحديثة التي أنشأها الملك عبدالعزيز لعموم أجزاء البلاد السعودية. وقد حرص الإمام ابن سعود على الاستفادة مما عند الأمم الأخرى، واجتهد في جلب أصحاب التعليم العالي والخبرات الجيدة الذين أشرفوا على إنشاء الإدارات والمؤسسات الحديثة في حكومته وهناك عشرات الكتب والبحوث التي فصلت الحديث عن جهود الملك عبدالعزيز في تحديث دولته، وتطوير الأرض والسكان في جميع أنحاء البلاد السعودية.

(٣) تاريخ منطقة عسير يعود إلى عصور ما قبل الإسلام، ومخلاف جرش (معظم سروات عسير حالياً) المذكور في كثير من كتب التراث الإسلامي، ونأمل أن يقوم علماء الآثار بدراسة آثار مخلاف جرش حتى يتطلعون على عراقة هذه البلاد وقدمها التاريخي. وهناك عشرات الكتب والرسائل والوثائق التي درست تاريخ عسير الحديث، وكيف أصبح جزءاً من المملكة العربية السعودية.

عبدالرحمن (المملكة العربية السعودية)^(١) . وفي بداية الخمسينيات أصبحت معظم أجزاء شبه الجزيرة العربية تعرف باسم (المملكة العربية السعودية) .

ومنذ الثلاثينيات وبداية الأربعينيات في القرن الهجري الماضي صار الملك عبدالعزيز يولي القطاع الإداري والتنموي عناية كبيرة^(٢) . وكان التعليم إحدى المؤسسات التي اهتم بها ، فعمل على إنشاء مديرية المعارف في مكة ، وكان من أعظم مهامها نشر التعليم الحديث في جميع أنحاء البلاد السعودية^(٣) .

والجنوب السعودي من أوائل المناطق التي حظيت بمدارس التعليم الحديث .
والوثائق وبعض الرواه يذكرون أوائل المدارس الحديثة فكانت على النحو التالي: (١) المدرسة الابتدائية الأميرية في الظفير ببلاد غامد وزهران عام (٥٤-١٣٥٥هـ/٣٥-١٩٣٦م) . (٢) المدرسة الابتدائية الأميرية في أبها عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م) . (٣) المدرسة الابتدائية الأميرية في جازان عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م) . (٤) المدرسة الابتدائية الأميرية في بيشة عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م)^(٤) . وتم اقرار جميع هذه المدارس من قبل مديرية المعارف واعتمدت من الملك عبدالعزيز ، وأرسل إلى كل ناحية مدرسون من مكة ، وبعضهم جاءوا إلى الحجاز من بلدان عربية أخرى^(٥) ، وقاموا بالإشراف على إنشاء هذه المدارس وإدارة شئونها . وقد التقيت ببعض رواد التعليم الحديث في عسير خلال العقد الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) وأخبروني عن بدايات التعليم الحديث في أبها ، وخميس مشيط ، والنماص ، وبيشة ، ورجال المع ، ومحال عسير ، وذكروا أسماء معلمين

(١) هناك بعض الدراسات والكتب والوثائق المطبوعة والمنشورة التي فصلت الحديث عن دخول عموم الجنوب السعودي تحت لواء الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل . وما زالت هذه البلاد تحتاج إلى دراسات أطول وأعمق .

(٢) هناك مئات الكتب والبحوث المطبوعة والمنشورة التي درست نشأة وتطور المؤسسات الإدارية العسكرية والمدنية في المملكة العربية السعودية . وما زال هناك سجلات ووثائق غير منشورة تدور حول تاريخ وتطور هذه الإدارات ، ونأمل أن نرى الباحثين وأساتذة الجامعات يولون هذا الجانب أهمية في بحوثهم ودراساتهم .

(٣) بدايات التعليم الحديث في المملكة العربية السعودية تمت دراسته في بعض الكتب والرسائل العلمية . وما زال هذا الميدان يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة والتحليل .

(٤) هذا ما وجده الباحث في بعض الوثائق والسجلات ، وأيضاً ما سمعته من بعض الرواة المعاصرين في مدن عديدة من مناطق الجنوب السعودي .

(٥) من يقرأ سير المدرسين الذين افتتحوا المدارس الحديثة الأولى في مناطق الجنوب السعودي يجد أن أصول بعضهم من الشام ، والعراق ، ومصر ، وبعض بلدان شمال أفريقيا ، ومن تركيا وغيرها . ومعظمهم جاءوا إلى الحجاز واستقروا فيها مع أسرهم ، وكانوا متعلمين ، وصاروا سعوديين ، وانخرطوا في مهنة التعليم .

كثرفادوا مسيرة التعليم في منطقة عسير من عام (١٣٥٤-١٣٨٦هـ/١٩٣٤-١٩٦٦م)، وقد أوردت ذلك مفصلا في بعض مؤلفاتي المطبوعة والمنشورة عن التعليم^(١).

ومناطق الباحة، وبيشة، والقنفذة، وجازان عاصرت بدايات التعليم الحديث منذ خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، أما منطقة نجران فلم يبدأ فيها التعليم الحديث إلا في بداية الستينيات عندما افتتحت المدرسة السعودية عام (١٣٦٢هـ/١٩٤٣م)، وكانت تراجع معتمدية المعارف في أبها^(٢). وقد زرت جميع هذه المناطق، وحاولت الاطلاع على بعض الوثائق والسجلات التي تؤرخ لبدايات التعليم هناك، لكنني لم أعر على تفصيلات وحقائق تؤرخ لتلك الحقبة، ونأمل من أساتذة الجامعات والباحثين في تلك النواحي أن يبذلوا قصارى جهودهم لدراسة نشأة تطور التعليم العام في مناطقهم^(٣).

ومنذ الستينيات والسبعينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) تزايدت المدارس الابتدائية والمتوسطة للبنين في عموم الجنوب السعودي، ثم افتتحت مدارس البنات من بداية الثمانينيات، ولم يأت العقد التاسع إلا وجميع مدارس التعليم العام (بنين وبنات) موجودة في بعض المدن والحواضر الجنوبية السعودية. ومنذ الثمانينيات وبداية التسعينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) انشئت معاهد إعداد المعلمين والمعلمات في بعض الحواضر والمدن الكبيرة والمتخرجون في هذه المعاهد يعينون مدرسين ومدرسات في المدارس الابتدائية، وقليل منهم يوجهون إلى العمل في المراحل المتوسطة^(٤).

(١) انظر: غيثان بن جريس. تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤-١٣٨٦هـ/١٩٣٤-١٩٦٦م) (جدة: دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) (الجزء الأول) (٣٤٨ صفحة). المؤلف نفسه. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير أنموذجا) (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) (الجزء الأول) (٥٦٧ صفحة). للمؤلف نفسه. من رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية (محمد أحمد أنور) (دراسات، وشهادات، ووثائق) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٢٧هـ/٢٠١٦م) (الطبعة الثانية) (٥٨٧ صفحة). وأقول أن بدايات التعليم في منطقة عسير ما زال بحاجة إلى دراسات طويلة وعميقة. كما أن رواد التعليم في هذه الناحية يستحقون أن تدرس سيرهم في رسائل وبحوث علمية. وللمزيد انظر دراستين مستقلتين عن التعليم في عسير في عهدي الملكين عبدالعزيز وإبنه سعود في كتابنا: دراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٢٤هـ/٢٠١٣م)، ج١-٢، ص ٤٨٧-٥٧٤.

(٢) انظر ابن جريس، تاريخ التعليم في منطقة عسير، ج١، ص ٦٤.

(٣) خلال العشرين عاما الماضية زرت إدارات تعليم جازان، وصبيا، ونجران، وبيشة، والباحة، والقنفذة، وطلبت من المسؤولين أن يطلعوني على أوائل السجلات في إداراتهم، فاعتذروا وقالوا ليس عندهم سجلات قديمة تعود إلى الخمسينيات والستينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وهو تاريخ بدايات التعليم الحديث في مناطقهم، وزودوني باحصائيات حديثة تشير إلى أرقام وتواريخ قديمة، لا يذكر مصدرها.

(٤) اطلعت على بعض الوثائق والسجلات في إدارات تعليم الطائف، وبيشة، وأبها، وجازان، ووجدت أسماء عدد من معاهد البنين والبنات في بعض مدن المنطقة الجنوبية، واتضح لي أن معظم أعضاء هيئة التدريس متعاقدين من دول عربية، وأجنبية، وكانت نسبة السعوديين قليلة جدا، ومعظمهم مديرون أو وكلاء لتلك المعاهد. كما أن أعداد الطلاب في الفصول وبخاصة في المعاهد الكبيرة مثل الطائف، وأبها، وبيشة تتراوح من ثلاثين وأربعين إلى خمسين وستين طالبا وطالبة.

ونلاحظ حتى العقد التاسع في القرن الهجري الماضي أن إدارات تعليم البنين والبنات محدودة، فلم يكن في عسير إلا إدارة أبها وبيشة للبنين، أما إدارة تعليم البنات في عسير ومقرها أبها، فكانت المسئولة عن جميع المدارس في مناطق عسير، وجازان ونجران، ومع بداية القرن (١٥هـ/٢١م)، ثم حلول العقد الثاني من هذا القرن تزايدت إدارات التعليم في منطقة عسير حتى زادت عن ست إدارات في أبها، وبيشة، والنماص، ومحاليل عسير، ورجال ألمع، وسراة عبيدة، وأخيراً ظهران الجنوب في ثلاثينيات هذا القرن، وفي جازان ادارتان في مدينة جازان، وصيبيا، وفي منطقة الباحة اثنتان في مدينة الباحة وفي مدينة المخوة، وفي نجران إدارة واحدة، وعندما كانت إدارات تعليم البنات مستقلة، تم ضمها مع إدارات تعليم الأولاد، وأصبحت إدارة واحدة تشرف على الجنسين، الذكور والإناث^(١).

كان التعليم العام يعتمد على المعلمات والمعلمين المقاولين أو المتعاقدين^(٢) منذ الستينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى نهاية العقد الأول من القرن (١٥هـ/٢٠م)، ومعظمهم كانوا من الدول العربية الشقيقة (فلسطين، الأردن، سوريا، مصر، السودان، العراق، الجزائر، ثم بريطانيا، وأمريكا لتدريس اللغة الإنجليزية)^(٣). كما حظي التعليم العام في هذا الجنوب العربي السعودي بالدعم المادي والمعنوي من قبل الدولة، فأنشأت المدارس الحكومية في كل مكان، وقدمت الدعم والمساعدات للطالبات والطلاب الفقراء والمحتاجين وأدخلت الكثير من الألعاب والأنشطة الرياضية، والاجتماعية، والثقافية، وطورت الكوادر البشرية السعودية حتى صاروا اليوم هم القائمين على مسيرة التعليم العام في جميع المراحل للبنين والبنات^(٤).

(١) تاريخ إدارات تعليم البنين والبنات، ثم إدارات التعليم التي تشرف على الجنسين الذكور والإناث في الجنوب السعودي تستحق أن تدرس في عشرات الكتب والبحوث والرسائل العلمية، ونأمل من الباحثين التربويين والمؤرخين في الجامعات السعودية الجنوبية أن يتولوا هذه الموضوعات بالبحث والدراسة العلمية الموثقة.

(٢) وجدت ذكرهم في السجلات باسم (المقاولين) وأحياناً (المتعاقدين).

(٣) وأقول أن أولئك المدرسين لهم فضل كبير على جميع مراحل التعليم العام في عموم المملكة العربية السعودية، وليس فقط جنوبها، وكان معظمهم على قدر كبير من العلم، والخلق، والانضباط، بل كان فيهم الأدباء، والشعراء، والخطباء. وقد شاهدت وسمعت من بعضهم في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) في محافظة النماص، وبعض مدن وقرى منطقة عسير. وأمل أن نرى من الباحثين من يجمع تراث أولئك المعلمين، وما قدموه من خدمات ثقافية ومعرفية وأدبية وتعليمية لأرض وسكان المناطق الجنوبية السعودية.

(٤) عاصرت التعليم العام في الجنوب السعودي منذ كان بسيطاً متواضعاً في إمكاناته المادية، وكوادره البشرية، ثم تطوره وقفزاته السريعة خلال الأربعين عاماً الماضية حتى أصبحت كل إدارة تعليم تشرف على مئات المدارس، وآلاف الطالبات والطلاب، وكذلك آلاف المعلمين والمعلمات والإداريين والإداريات، ناهيك عن ما تشرف عليه من مئات الأنشطة اللاصفية، والمسابقات الاجتماعية والعلمية والثقافية. وأقول أن علينا يا معاشر المؤرخين والباحثين والتربويين مسؤولية عظيمة تجاه هذا الصرح الكبير فتعمل على توثيق تاريخه وما قدم من إنجازات وإيجابيات في خدمة الوطن والدين.

ثالثاً: نبذة عن التعليم العالي في الجنوب السعودي:

كانت مدينة أبها في عسير أول ناحية في الجنوب السعودي تعرف مؤسسات التعليم العالي^(١). ففي عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) افتتحت جامعتي الملك سعود، والإمام محمد بن سعود الإسلامية فرعين لهما في أبها، وأنشئت كلية التربية للبنين، التابعة لجامعة الملك سعود، وأسست كلية الشريعة واللغة العربية وتعود في إدارتها، مالياً وإدارياً، لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض^(٢). وكوني معاصراً لهاتين الكليتين، وبدأت دراستي الجامعية في كلية الشريعة في عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، ثم انتقلت إلى كلية التربية، وتخرجت فيها عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، فأني أدون في السطور التالية بعض الحقائق، والانطباعات، ووجهات النظر، وهي:

١. لا يوجد في مناطق الجنوب السعودي عموماً أي مؤسسة تعليمية عالية، ما عدا هاتين الكليتين الأنفتي الذكر. بدأت كلية التربية في عمارة سعيد بن مشبب القحطاني، القريبة من طريق المطار، على طريق أبها الخميس، وهي بناية مستطيلة تتكون من طابقين، ومساحتها تزيد عن عشرة آلاف متر مربع، ولها ملاحق تتكون من مستودعات، ومطعم عام للطلاب، وحديقة حيوان. وجميع مرافقها تستخدم فصولاً لتدريس الطلاب، وجزء منها خصص سكناً للطلاب المغتربين، بالإضافة إلى مكاتب العميد والموظفين وأعضاء هيئة التدريس^(٣). أما كلية الشريعة واللغة العربية فقد بدأت في المدرسة السعودية الواقعة في حي الطبخية وسط مدينة أبها، وما زالت هذه المدرسة قائمة حتى اليوم، ويدرس بها طلاب المرحلتين الابتدائية والمتوسطة. وهي عمارة مسلحة على أرض تزيد مساحتها عن (٢٧٠٠٠م^٢). وقد درست فيها عندما سجلت في كلية الشريعة وبقيت فيها حوالي ثلاثة شهور من عام (١٣٩٦-٩٦هـ/٧٦-١٩٧٧م)، وتتكون من طابقين مع ملاحقها. وعميد الكلية عند الافتتاح والتأسيس الشيخ/ عبدالله بن عبدالعزيز المصلح، ونائبه الدكتور فهيد السبيعي^(٤).

(١) لمزيد عن تاريخ مدينة أبها، انظر غيثان بن جريس. أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية) (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) (٥٨٤ صفحة).

(٢) تستحقان هاتان الكليتان أن يفرد لهما دراسة أو كتاب أو رسالة علمية تفصل الحديث عن بداياتهما وأثارهما الإيجابية على عموم المنطقة الجنوبية.

(٣) كان الباحث أحد طلاب الكلية، درس، وسكن في هذه البناية الأنف ذكرها معظم مدة دراسته (١٣٩٧-١٤٠٠هـ/١٩٩٧-١٩٨٠م).

(٤) تاريخ هذه الكلية خلال العشر سنوات الأولى مهم لما لها من آثار إيجابية على عموم منطقة عسير وما جاورها، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس هذه الكلية دراسة علمية موثقة. وقد التقيت بالدكتورين عبدالله المصلح وفهيد السبيعي وحاولت الحصول على بعض المعلومات عن هذه المؤسسة التعليمية في سنواتها الأولى، لكنهما لم يتعاونوا معي، واعتذرا عن ذلك.

٢. جميع أعضاء هيئة التدريس العاملين في هذه الكليات متعاقدين من دول عربية وأجنبية، ونسبة السعوديين صفر، ما عدا العمداء وبعض الموظفين من حولهم. ومعظم أعضاء هيئة التدريس في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود جاءوا من جامعات مصرية أو شامية، وكان للأزهريين نصيب الأسد، وبخاصة الأساتذة المتخصصين في العلوم الشرعية، كالقرآن وعلومه، والسنة وعلومها، والفقه وأصوله، والعقيدة. وكذلك أساتذة اللغة العربية وآدابها^(١). أما أعضاء هيئة التدريس في كلية التربية فكانوا من دول عربية كمصر، والشام، والعراق، والسودان. والبعض منهم حصلوا على درجاتهم العليا من أمريكا، وبعض دول أوروبا الغربية والشرقية، أو بعض دول الاتحاد السوفيتي، ولهذا كان البعض منهم يحمل أفكار ليبرالية أو شيوعية، ونحن الطلاب في سن مبكرة من أعمارنا، لم ندرك ذلك في مرحلة دراسة البكالوريوس، وعرفنا هذه التوجهات فيما بعد، وبخاصة بعد أن عاشرناهم بعد حصولنا على درجتنا الماجستير أو الدكتوراه^(٢).

(١) عشت معظم حياتي في قريتي والدتي ووالدي في بلاد بني عمرو وبني شهر، وعندما التحقت بكلية الشريعة وسمعت وشاهدت أساتذة كبار ومبدعون في علومهم، وشروحاتهم، وأخلاقهم، وهيئاتهم. أقول أن دراسة سير وتراجم أساتذة كلية الشريعة واللغة العربية في أباها خلال السنوات العشر الأولى من تاريخها جديرة بالبحث والتدوين والتوثيق، ومن أساتذة هذه الكلية في السنوات الأولى من نشأتها (١٣٩٦-١٣٩٩هـ/٧٦-١٩٧٩) (١) الشيخ عبد الله بن عبدالعزيز المصلح، عميد الكلية (٢) أ. فهد عبيد محييد السبيعي، وكيل الكلية. (٣) الدكتور/عبد العزيز محمد عزام رئيس قسم الفقه والأصول. (٤) الشيخ محمد علي عثمان، رئيس قسم الكتاب والسنة. (٥) الدكتور/محمد أحمد سحلول، رئيس قسم النحو والصرف وفقه اللغة. (٦) الدكتور/عبد العزيز عبد المعطي عرفه، رئيس قسم البلاغة والأدب والنقد. والأسماء الأنف ذكرها، هم أعضاء مجلس كلية الشريعة واللغة العربية في الجنوب بأبها، وكلهم مصريون ما عدا عميد الكلية ووكيله. وهناك أعضاء هيئة تدريس آخرون، هم: الدكتور شوقي رياض أحمد، (مصري الجنسية)، والدكتور عبد الوهاب عبدالعزيز الشيشاني (مصري الجنسية)، والأستاذ عبد المالك عبد الرحيم مصطفى (مصري الجنسية)، والأستاذ عبد العزيز علي الغامدي (سعودي الجنسية)، والأستاذ محمد عادل الهاشمي (سوري الجنسية)، والأستاذ سعيد محمد الترامسي (مصري الجنسية). وقد درست عند معظم هؤلاء الأساتذة خلال الفصل الدراسي الأول عام (١٣٩٧-٧٦هـ/١٩٧٧م)، وكان عدد الفصول في السنة الأولى أربعة يدرس فيها حوالي (٢٣١) طالبا وطالبة منتظمون ومنتسبون، في أقسام الشريعة (٢٢٢) طالبا وطالبة، وأقسام اللغة العربية (٤٥) طالبا وطالبة، وخلال السنة الأولى تحول من الرياض حوالي (٦٤) طالبا يدرسون في السنة الثانية. المصدر: معاصرة الباحث لهذه الفترة، فكان أحد طلاب كلية الشريعة لمدة فصل دراسي واحد، ثم انتقل إلى كلية التربية بفرع جامعة الملك سعود في أباها. كثير من أعضاء هيئة التدريس الذين قدموا إلى أباها أثناء تأسيس الكليات استمروا في أقسامهم الأكاديمية سنوات عديدة تزيد عن العشر سنوات، وبعضهم امتدت به الإقامة إلى عشرين وثلاثين عاما. واذكر ممن استمر في كلية التربية. الدكتور إياد نادر، والدكتور/عبد الكريم ناشر، والدكتور حسين أبو الفتوح، والدكتور صالح باروما، والدكتور كمال شكاك، والدكتور/محمد أرباب، والدكتور سيد أحمد يونس، والدكتور/محمد سعيد الأمين، والدكتور/شكري التاجي، والدكتور علي شقير، والدكتور/لطف يركات، والدكتور/تارفن، والدكتور/صبحي رجب، والدكتور/جهاد قربة، والدكتور/محمد كمال

٢. كان الطلاب في كليات الفرعين بأبها من جميع مناطق الجنوب من نجران إلى الباحة ومن جازان إلى القنفذة. ونسبة طلاب منطقة جازان في هذه الكليات من أعلى النسب مقارنة بغيرها من المناطق^(١). ومعظم الموظفين والإداريين السعوديين من الجنوب السعودي، وهناك موظفون ومدنيون آخرون من بعض الدول العربية وقليل منهم من دول أجنبية.

٤. كان الوضع الثقافي والتوعوي والعلمي متواضعاً في منطقة عسير وما حولها قبل بداية التعليم العالي في أبها، ومنذ نشأة كليتي الشريعة واللغة، والتربية بدأت عجلة النمو والتطور المعرفي تسير في شرايين المجتمع، والذي ساعد في ذلك تحسن الأوضاع الاقتصادية في عهد الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود (١٣٩٦-١٤٠٢/١٩٧٦-١٩٨٢م)^(٢)، بالإضافة إلى الخطط الخمسية التي بدأت من عام (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م). وكان لكلية الشريعة واللغة جهود تذكر فتشكر في توفير الناس في عباداتهم، ومحاربة بعض الأعراف والعادات التي تتعارض مع الكتاب والسنة، وكذلك الإشراف على بعض الأنشطة الدينية والاجتماعية مثل إمامة الناس في مساجدهم وجوامعهم، وإقامة بعض المهرجانات والمخيمات الدعوية، وغيرها من الأنشطة الإيجابية التي تصب في خدمة بناء الفرد والمجتمع^(٣).

٥. بقيت كليتا التربية، والشريعة واللغة تقود مسيرة الحياة العلمية والثقافية في مناطق عسير، وجازان، ونجران، وفي عام (١٤٠٣/١٤٠٢هـ) انفصلت أقسام اللغة العربية وآدابها عن الشريعة، وصار اسمها كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ومن أقسامها: شعبة النحو والصرف، وشعبة الأدب والبلاغة والنقد، والتاريخ، والجغرافيا، والعلوم الإدارية، والمحاسبة، وعلم الاجتماع، وعلم الاقتصاد. وتحول مسمى الشريعة إلى (كلية الشريعة وأصول الدين)، واستمر الشيخ عبدالله المصلح

شيبانه، والدكتور/ عاصم أحمد، والدكتور/ علاء الدين السامرائي، والدكتور/ هاطور، والدكتور/ جميل حرب، والأستاذ/ فتحي جاسر، والأستاذ/ عبدالعظيم حشيش. وهناك أساتذة كثيرون في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود نسبت الكثير من أسمائهم.

(١) هذا ما عرفته وعاصرته اثناء دراستي في كلية الشريعة ثم كلية التربية خلال أربع سنوات (١٣٩٦-١٤٠٠هـ/١٩٧٦-١٩٨٠م)، وكذلك أثناء عملي في الجامعة معيدا ثم محاضرا ثم أستاذا مساعدا.

(٢) عُرف عصر الملك خالد بن عبدالعزيز باسم (عصر الطفرة)، وذلك لارتفاع الرواتب، وتحسن أحوال الناس في مطعمهم ومشربهم، ومسكنهم. وتلك الفترة لها جوانب إيجابية وأخرى سلبية جدا أن نرى باحثا جادا يدرسها دراسة علمية حيادية.

(٣) جهود كلية الشريعة في السنوات العشر الأولى منذ تأسيسها كثيرة وجيدة وتاريخ هذه الكلية جدير بالدراسة مع التركيز على آثارها الإيجابية على عموم المنطقة الجنوبية.

يقود زمامها حتى بدايات القرن (١٥هـ/٢٠م)، وبقيت كلية التربية على حالها، والمشرف عليها منذ تأسيسها الدكتور مزيد إبراهيم المزيد، وتتكون من ثمانية أقسام: هي: التاريخ، والجغرافيا، واللغة الإنجليزية، وعلم النفس، والأحياء، والكيمياء، والفيزياء، والرياضيات، بالإضافة إلى مواد عامة مساندة، مثل: التربية الرياضية، والتربية الفنية، ومواد اللغة العربية، والثقافة الإسلامية، والوسائل التعليمية^(١).

٦. وفي عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) افتتحت جامعة الملك سعود كلية الطب في أبها، وهي أول كلية طبية في الجنوب السعودي. وإذا كانت كليات الشريعة، واللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية، والتربية تسيير سيراً حثيثاً في أداء رسالتها في خدمة الدين والوطن. فتلك كلية الطب جاءت لخدمة الأرض والسكان، وكان أول عميد لها هو الدكتور زهير بن أحمد السباعي^(٢)، وقد استقطبت هذه الكلية كوادر جيدة من أبناء المنطقة الجنوبية، وقامت على تدريسهم، وتدريبهم، وصقلهم حتى حصلوا على مبتغاهم، وترقوا في سلم العلم والمعرفة الطبية والإنسانية^(٣).

٧. هذه الكليات الأربع (الشريعة وأصول الدين، واللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية، والتربية، والطب) تُعد النواة الأولى للتعليم العالي في الجنوب السعودي. ومن خلالها تخرج آلاف الطلاب الذين أسهموا في بناء بلادهم ومجتمعاتهم محلياً وإقليمياً. كما أنها اللبنة الأولى التي أسهمت في نشر التعليم العالي رأسياً واقطياً في أنحاء المنطقة الجنوبية السعودية^(٤).

(١) من ينظر في خطط الكليات منذ نشأتها حتى عام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، فإنه سوف يطالع أسماء المواد في كل تخصص، وعدد الساعات التي يجب على الطالب اجتيازها حتى يحصل على الشهادة. وأقول أن تاريخ هذه الكليات منذ النشأة حتى ظهور جامعة الملك خالد عام ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، جدير بالتوثيق والدراسة في عدد من الكتب والبحوث العلمية.

(٢) الدكتور زهير ابن المؤرخ والأديب الأستاذ أحمد السباعي، صاحب كتاب تاريخ مكة، ونأمل أن نرى باحثاً يدرس تاريخ كلية الطب أثناء إدارته لكلية الطب في أبها.

(٣) نأمل أن نرى من أبنائنا الباحثين الجيدين، أو من المؤرخين الصادقين من يدرس نشأة وتطور كلية الطب في أبها، وما قدمت من خدمات على المستوى المحلي، والإقليمي، والعالم. ومن يقوم بإنجاز هذه المهمة فإنه سوف يسدي لنا معاشير الباحثين معروفًا عظيمًا.

(٤) حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ هذه الكليات الأربع وما قدمت من إنجازات للارتقاء بالأرض والسكان في شتى الجوانب. وأقول أن جامعة الملك خالد يجب أن تأخذ المبادرة في رصد وتوثيق نشأة وتطور التعليم العالي في عسير وفي جميع مناطق الجنوب السعودي.

وافتتحت الدولة مؤسسات تعليم عالية أخرى في مناطق الجنوب السعودي، ففي عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) صدر قرار وزير المعارف بإنشاء (الكلية المتوسطة لإعداد المعلمين في أبها)، على أن تمنح خريجها درجة دبلوم الكلية المتوسطة بعد أن يجتاز الطالب أو الدارس^(١) (٧٦) ساعة معتمدة في تخصصين أحدهما رئيسي والآخر فرعي.

وبقيت الكليات المتوسطة تمنح دبلوم حتى عام (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ثم بدأت تمنح درجة البكالوريوس، وارتفع عدد الساعات المقررة على الطالب إلى (١٤٩) ساعة في جميع التخصصات، ما عدا قسم العلوم فعدد الساعات المقررة له (١٥١)، وتغير مسمى الكلية السابق إلى اسم (كلية المعلمين)^(٢). وبدأت الكلية المتوسطة بأبها في بعض العمائر المستأجرة في حي العرين، ثم حدد لها أرض حكومية على طريق أبها الخميس تبلغ مساحتها حوالي (٦٠٠٠٠م^٢)، وأنشئ فيها مباني عديدة استخدمت قاعات للدراسة، ومسجد، ومطعم، وملاعب، ومكاتب إدارية، ومختبرات^(٣). وقد أنشئت عدد من الكليات المتوسطة، ثم المعلمين في الطائف عام (٩٨-١٣٩٩هـ/٧٨-١٩٧٩م)، وفي جازان عام (١٤٠١-١٤٠٢هـ/٨١-١٩٨٢م)، وبيشة، والقنفذة عام (١٤٠٦-١٤٠٧هـ/٨٦-١٩٨٧م)، والباحة عام (٤٠٧-١٤٠٨هـ/٨٧-١٩٨٨م)^(٤).

(١) يطلق اسم (الدارس) على معلمين في الميدان التحقوا بالكلية المتوسطة، وهم يختلفون عن الطالب الجديد الذي تخرج من الثانوية والتحق بالكلية نفسها. المصدر: مشاهدات ومعاصرته لتلك الحقبة.

(٢) عاصر الباحث الكلية المتوسطة ثم المعلمين في أبها من عام (١٣٩٧-١٤٢٠هـ/١٩٧٧-٢٠٠٠م). وأخيراً الغيت كليات المعلمين في أبها وبيشة وانضم أعضاء هيئة التدريس فيها إلى جامعة الملك خالد عام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

(٣) عندما الغيت كلية المعلمين في أبها صارت مبانيها لجامعة الملك خالد، وتحولت إلى قاعات مغلقة يُدرس فيها برامج الدراسات العليا للنساء، وأجزاء منها استخدمت مقرراً لبعض الإدارات والعمادات المساندة في الجامعة. ولمزيد من التفصيلات عن تاريخ الكلية المتوسطة، ثم كلية المعلمين في أبها. انظر: فهيد بن عبيد السبيعي. "أضواء على مسيرة التعليم في كليتي المعلمين بأبها وبيشة". ندوة التعليم العالي في عسير (ربيع قرن من الانجاز والعطاء) (سلسلة بحوث وأوراق الندوات والمؤتمرات/١) (مطبوعات جامعة الملك خالد، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ص ٣٠١-٣٣٦.

(٤) جميع هذه الكليات الغيت في العشرينيات وأوائل الثلاثينيات من القرن (١٥هـ/٢١م)، ونقلت ممتلكاتها إلى أقرب جامعة من كل كلية، وصار أعضاء هيئة تدريسها يعملون في تخصصاتهم بالجامعات، وأقول أن هذه الكليات الآنف ذكرها في الجنوب السعودي جديرة إلى أن يصدر عنها بحوث ودراسات عديدة ترصد تاريخها ومسيرتها التعليمية وأثارها الإيجابية على المناطق الجنوبية بشكل خاص وعلى عموم المملكة العربية السعودية بشكل عام.

وفي عام (١٤٠١-١٤٠٢هـ / ١٩٨٢-٨١م) انشئت كلية التربية للبنات بأبها^(١)، وبدأت في مقر حكومي بحي القابل، وكان أول مدير لها الأستاذ محمد أحمد الأحمد، وتحتوي على عشرة أقسام أدبية وعلمية، فالأدبية: الدراسات الإسلامية، واللغة العربية، واللغة الإنجليزية، والتاريخ والجغرافيا. والأقسام العلمية: الكيمياء، والفيزياء، والرياضيات، والاقتصاد المنزلي^(٢). وكان عدد الطالبات عام (١٤٠١-١٤٠٢هـ / ١٩٨٢-٨١م) حوالي سبعين طالبة. واستمرت الكلية بضع سنوات في المبنى المخصص لها بحي القابل، ثم فصلت الأقسام الأدبية، ونقلت إلى عمائر سعيد بن مشبب القحطاني بين أبها والخميس، وهي العمائر نفسها التي بدأت فيها كلية التربية للبنات عام (٩٦-١٣٩٧هـ / ٧٦-١٩٧٧م)، إلا أن صاحبها القحطاني توسع في منشأتها لتزايد عدد الطالبات في الأقسام الأدبية، وبقيت الأبنية الموجودة في القابل لطالبات الأقسام العلمية واستمرت مسيرة التعليم لهذه الكلية حتى ضمت إلى جامعة الملك خالد في العقد الثالث من هذا القرن (٥١هـ / ١٢م)، ثم انتقلت إلى مقرها الحالي على طريق الملك عبد الله، وتزايدت عدد الكليات النسائية^(٣).

وافتح عدد من كليات البنات في منطقة عسير، وفي مناطق جازان، والباحة، والطائف. وكانت تشرف على معظمها إدارات التعليم في المناطق وبعضها إدارات مستقلة مثل إدارة كليات البنات. وعند إنشاء جامعات الجنوب (الملك خالد، وجازان، ونجران، والباحة، والطائف، وبيشة) أصبح التعليم العالي للبنات في كل منطقة أو محافظة يتبع للجامعات^(٤).

(١) أسس في نهاية التسعينيات من القرن (٥١٤-٢٠م)، كلية متوسطة للبنات بأبها ثم تطورت تلك إلى كلية التربية، وأنشئت كليات متوسطة أخرى في بيشة عام (١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م)، وفي مدينة العلاية بمحافظة بلقرن عام (١٤١٩هـ / ١٩٩٩م)، وفي مدن أخرى عديدة من جنوب المملكة العربية السعودية. انظر غيثان بن جريس، تاريخ التعليم العام والعالي في منطقة عسير خلال عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز (٥١٤-٢٢هـ / ١٩٨٢-٢٠٠٢م) (جدة: مكتب الرواد، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٢م)، ص ٣٤٤ وما بعدها.

(٢) مقابلة مع الأستاذ محضوب بن محمد آل مداوي، مدير عام الإدارة العامة لكليات البنات في أبها خلال العقد الثاني والثالث من القرن (٢٠-٢١هـ / ١٥-٢١م).

(٣) أقول أن تاريخ كليات البنات في أبها يستحق أن يفرّد له بحوث ودراسات علمية موثقة، ونأمل من طالباتنا في برامج الدراسات العليا بقسم التاريخ في جامعة الملك خالد أن يتولين دراسة هذه المؤسسة في عدد من البحوث العلمية.

(٤) تاريخ التعليم العالي للبنات في الجنوب السعودي من الموضوعات المهمة والجديدة في ميدانها، ويستحق أن يدرس في هيئة كتب أو رسائل علمية، ونأمل من أقسام الدراسات العليا المعنية أن تولي هذا الجانب أهمية قصوى في ميدان بحوثها ودراساتها العلمية.

ومن كليات التعليم العالي في الجنوب السعودي، كليات العلوم الصحية للبنين والبنات في أبها، وتشرف عليها وزارة الصحة، وقد افتتحت كلية البنين عام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، وكلية البنات عام (١٤١٥-١٤١٦هـ/٩٥-١٩٩٦م)، وبدأت هاتان الكليتان في أبنية مستأجرة، ثم خصص لهما أراضي حكومية وشيدت عليها أبنية خاصة بهما، وأهم أقسام هذه الكليات التمريض، والصيدلة، والمختبرات. كما أنشئ مثل هذه الكليات في الطائف، والباحة، وجازان. وعندما افتتحت جامعات في هذه المناطق ألغيت الكليات الصحية، وضم موظفوها وأعضاء هيئة تدريسيها إلى الجامعات القريبة من كل كلية، أو إلى مديريات الشؤون الصحية^(١).

وللتعليم الفني وجود كبير في المنطقة الجنوبية^(٢)، فالمعاهد المهنية افتتحت في أماكن عديدة من مناطق عسير، وجازان، والباحة، والطائف، ونجران، كما وجدت بعض الثانويات الصناعية في حواضر الجنوب الرئيسية.

وبدأت المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني بإنشاء عدد من كليات التقنية في بعض المدن الكبيرة في جنوب المملكة العربية السعودية، وكانت أول تلك الكليات: كلية التقنية بأبها التي أنشئت عام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، شيد لها أبنية حديثة في حي المنسك بأبها اشتملت على قاعات، وورش، ومختبرات للطلاب، ومكتبة، ومكاتب، وصلات، ومطعم، وقريباً من أبنية الكلية عمارات عديدة تتكون من عدة طوابق، خصصت سكناً لأعضاء هيئة التدريس في الكلية. والسائر في أجزاء المنطقة الجنوبية اليوم يجد أن كليات التقنية منتشرة في معظم محافظات المنطقة، وجميعها في أبنية حكومية متكاملة لخدمة التعليم الفني والتقني^(٣).

ومنذ منتصف العشرينيات في القرن (١٥هـ/٢٠م)، وبخاصة من بداية عهد الملك عبد الله بن عبدالعزيز آل سعود عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) تزايدت مؤسسات التعليم العالي، وأنشئت جامعات جديدة مثل: جامعة جازان، وجامعة نجران، وجامعة الباحة،

(١) أدت الكليات الصحية تحت مظلة وزارة الصحة رسالتها بشكل جيد في خدمة الوطن، وتلك المؤسسات تستحق أن يكتب عنها ويرصد تاريخها، ونأمل أن نرى باحثين جادين يتولونها بالبحث والدراسة والتوثيق.

(٢) أنشئت المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني في المملكة عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ثم اجتهدت في إنشاء الكثير من المعاهد والثانويات الصناعية في عموم المملكة العربية السعودية.

(٣) جميع مؤسسات التعليم الفني والتدريب المهني ما زالت مستقلة وتتبع المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني، وكليات التقنية والمعاهد المهنية توجد في كثير من المحافظات من مناطق المملكة العربية السعودية. وقد تجمع يوماً ما في جامعة مستقلة، أو تلتحق تخصصاتها وأعضاء هيئة تدريسيها بالأقسام والكليات الجامعية كما حصل مع كليات المعلمين، والكليات الصحية. وأقول أن تاريخ التعليم الفني في مناطق الجنوب السعودي جديران يبحث في كتب ورسائل علمية موثقة.

وجامعة الطائف، وأخيراً جامعة بيشة، وقد ترى قريباً جامعات أخرى جديدة في القنفذة ومحائل عسير. وجميع هذه المناطق بدأ التعليم العالي فيها بأقسام أو كليات محدودة، وفي الخمس عشرة سنة الأخيرة (١٤٢٥-١٤٣٩هـ/٢٠٠٤-٢٠١٨م) شمل التعليم العالي كل أجزاء المنطقة الجنوبية، وصارت الجامعة الواحدة تؤسس كليات وفروعاً في أنحاء المنطقة التي توجد فيها. فإدارة الجامعات الأم في مدن نجران، أو جازان، أو أبها، أو بيشة، أو الباحة، أو الطائف، وكلياتها العلمية والأدبية موجودة في كل الحواضر أو المدن الرئيسية لتلك المناطق أو المحافظات^(١).

رابعاً: آراء، واقتراحات، ووجهات نظر:

١. كان هذا الجنوب السعودي، من الطائف إلى نجران ومن جنوب مكة إلى جازان، يعيش حياة التفرقة والانعزال، فكل ناحية أو قبيلة تعيش مستقلة عن غيرها. والمصادر والمراجع التاريخية والأدبية تشتمل على شيء من ذلك التاريخ الذي تسوده الفوضى والاضطراب، وتخيم على أهله حياة الفقر والجوع والجهل. وعند مجيء الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل عمل جاهداً على توحيد البلاد، ونشر الأمان، وترسيخ مبدأ الإخوة تحت مظلة (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، ولم يغفل عن نشر الوعي والعلم والثقافة بين الناس.

٢. لم يكن الإمام عبدالعزيز يعمل بمفرده في تأسيس دولته، وإنما كان معه رجال مخلصون من داخل الجزيرة العربية ومن خارجها، فلم يدخروا جهداً في الرقي بالبلاد سياسياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وثقافياً وفكرياً وتعليمياً. وقد وقفت وقرأت أسماء أعلام كثيرين جاءوا إلى جنوب المملكة العربية السعودية، فكانوا خير رسل للملك عبدالعزيز، وبذلوا الغالي والنفيس في أداء الرسالة التي جاءوا من أجلها. ومن يتوقف مع رواد العلم والتعليم في هذا الجزء العربي الأصيل فإنه سوف يطلع على سير مشرقة بذل أصحابها زهرة شبابهم لخدمة الوطن والدين^(٢).

(١) تاريخ الجامعات في الجنوب السعودي موضوع جديد، وتستحق كل جامعة أو كل كلية في هذه الناحية أن يفردها لها بحوث ودراسات علمية موثقة. ونأمل أن نرى من الباحثين والمؤرخين المحققين الجيدين من يتولى هذا الميدان بالبحث والتأصيل.

(٢) أشرت إلى بعض أولئك الرواد في بعض مؤلفاتي التي صدرت خلال الثلاثين عاماً الماضية، كما ذكرت رموزاً وأعلاماً آخرين كان لهم بصمات في ميادين سياسية وحربية، واجتماعية، واقتصادية. وأمل أن نرى باحثاً جاداً يحصر مشاهير وأعلام المنطقة الجنوبية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، ومن يعمل ذلك فإنه سوف يطلعنا على صفحة بيضاء من تاريخ هذا الوطن الكريم.

٣. كانت مراحل التوحيد السياسي والإداري الحديث لهذه البلاد من أهم الخطوات عند صنع القرار، وقد أبلوا في ذلك بلاء حسناً، لكن صقل عقل الفرد وتوعيته علمياً وثقافياً خطوة أخرى مهمة، وهذا ما جرى، فكان الدعاة وطلبة العلم، وأحياناً الشعراء والأدباء يسرون جنباً إلى جنب مع رجال الحرب والسياسة من أجل إرشادهم إلى الصواب، ومساعدتهم على اتخاذ القرار السليم الذي يتوافق مع كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ). وهناك شيوخ، وفقهاء، وعلماء، ودعاة جاءوا مع جيوش الملك عبدالعزيز إلى مناطق الجنوب فكانوا خير عون ونصير لهم. ومن يقرأ سير قضاة ودعاة ورجال العلم في عسير، وجازان، ونجران في عصور ملوك آل سعود من الملك عبدالعزيز إلى عصر الملك خالد فإنه سيجد الكثير منهم على قدر رفيع من العلم والالتزان، والخلق الحسن^(١).

٤. تاريخ التعليم العام في مناطق الجنوب السعودي مجال كبير منذ مرحلة الكتابيب في المنازل والمساجد، ثم نشأة التعليم الحديث للذكور والإناث، مع الإشارة إلى الصعوبات التي واجهها الطلاب والمعلمون والمعلمات، ودور أفراد المجتمع في دعم أو تثبيط مسيرة التعليم، وما بذلت الدولة مادياً ومعنوياً في إيصال العلم والتعليم إلى كل بلدة أو قرية أو حاضرة، وما بذله إخواننا وأساتذتنا (المقاولون) أو (المتعاقدون) في تعليمنا وتعليم أبنائنا وبناتنا^(٢). وما خلفوه من آثار إيجابية ارتقت بالحياة العلمية والتعليمية في البلاد.

٥. اتسعت رقعة التعليم العام، وكثر المتعلمون والمتعلمات، وخرجوا إلى الحياة العامة، وساهموا في تطوير البلاد، وكثير منهم واصلوا دراساتهم العليا، وتخرجوا في الجامعات، وعملوا في مفاصل الدولة، وتأثروا وأثروا في بناء الوطن سياسياً

(١) قرأت عن بعضهم، واطلعت على بعض إنجازاتهم في ميادين القضاء والعلوم والدعوة إلى الله، فوجدتهم قامات عظيمة تستحق الذكر والتقدير، وأعمالهم تستحق الرصد والتوثيق. وأمل من طالباتنا وطلابنا في برنامج الدراسات العليا بقسم التاريخ في جامعة الملك خالد أن يتخذوا من أولئك الأعلام موضوعات لاطروحاتهم في درجتي الماجستير والدكتوراه.

(٢) قلت وما زلت أردد أهمية الجهود التي قدمها الأساتذة المتعاقدون في خدمة الفرد والمجتمع، وهذا الجانب ذو أهمية كبيرة ولم يكتب عنه، ونأمل أن نرى من الباحثين الجادين من يدرسه في بحوث ورسائل علمية عديدة.

وحضارياً. وهذا ما لمستّه وعشته وعرفته من خلال رحلاتي وتجوالي في أجزاء الجنوب السعودي، وفي مناطق ومدن أخرى عديدة في المملكة العربية السعودية^(١).

٦. أصبح التعليم العام والعالي اليوم في الجنوب السعودي عالماً كبيراً، فلم نعد أمام مدرسة أو كلية صغيرة تخدم عشرات الطلاب، كما كان الوضع في بدايات النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، أو حتى في نهايته وبدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وإنما صار هناك آلاف المدارس في التعليم العام ومئات الكليات في التعليم العالي، ناهيك عن الطلاب فهم بمئات الآلاف، والمدرسون وأعضاء هيئة التدريس في الجامعات بعشرات الآلاف، ومرافق هذه القطاعات كثيرة جداً، والأموال التي تصرف على مسيرة التعليم العلمية، والثقافية، والابداعية والتقنية تقدر بمئات المليارات^(٢).

ونخلص في نهاية هذه الوقفات إلى عدد من الآراء والتوصيات التي أذكرها في النقاط الآتية:

١. تاريخ الكتابيب وطلبة العلم ورحلاتهم، ومؤلفاتهم في بلاد تهامة والسراة تحتاج إلى جمع ودراسة، وبخاصة قبل ظهور التعليم الحديث، ولا تخلو أي مدينة أو ناحية في هذا الجزء العربي السعودي من حراك علمي متواضع، ونأمل أن نرى من الباحثين والمؤرخين المنصفين من يقوم بدراسة هذا الموضوع^(٣).
٢. عرف التعليم الحديث في الجنوب السعودي من بداية الخمسينيات إلى أوائل التسعينيات أساتذة، وعلماء، وأدباء، وروادا في ميدان التربية والتعليم، ونرجو من إدارات التعليم أو الجامعات في هذه المناطق أن تدرس سيرهم وما قدموا من أعمال صغيرة وكبيرة في الأرض ومع الناس. ويستحسن أن تؤسس مراكز بحوث متخصصة تقوم بانجاز هذا العمل العلمي^(٤).

- (١) هذه الخلاصة عرفتها وعشنتها طالباً صغيراً في مراحل التعليم العام، ثم طالباً شاباً فمدرساً فأستاذاً في أروقة جامعات الجنوب السعودي وغيرها داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.
- (٢) كل هذه المحاور المذكورة في الصفحات السابقة موضوعات مهمة وجديدة وتستحق أن تدرس في عدد من البحوث العلمية. ويوجد في الجنوب السعودي العديد من الجامعات التي يعمل فيها مئات أعضاء هيئة التدريس، وعشرات الأقسام ومراكز البحوث والواجب عليها أن تدس آثار وتاريخ هذه المؤسسات وما تقوم به من أعمال على المستوى المحلي والإقليمي.
- (٣) هناك بعض البحوث والرسائل العلمية القليلة التي درست هذا الجانب لكننا نتطع إلى دراسة مطولة وموثقة في هذا الميدان.
- (٤) للأسف تحولت في عموم بلاد تهامة والسراة وزرت الجامعات وإدارات التعليم فيها، فوجدتها مقصرة في حفظ سجلات وأوراق الثقافة والتعليم الحديث، ومعظم هذه المصادر أصبحت غير موجودة، وهذه مشكلة عويصة لمن يريد البحث في تاريخ الحياة العلمية والثقافية خلال القرون الماضية المتأخرة.

٣. إن دراسة حياة الناس العامة والخاصة قبل ظهور التعليم العام والعالي الحديث وبعده من المجالات المهمة والخصبة، فالناس كانوا قديماً يفتقدون إلى التنوير والمعرفة المتخصصة والعامة، ومنذ سبعين عاماً سار التعليم بخطى ثابتة، ووصل إلى كل هجرة، وقرية، ومدينة، وبيت، وتحولت أحوال المجتمعات من الأمية وضآلة المعرفة إلى نور ومعرفة وتقدم في جميع مناحي الحياة^(١).
٤. يوجد على أرض الجنوب السعودي العديد من الجامعات، وإدارات التعليم، وعشرات الكليات والأقسام، ومئات الأساتذة في شتى المجالات وعليهم جميعاً أن يكونوا عناصر فاعلة في خدمة البحث العلمي، ودراسة شتى الجوانب الاجتماعية، والتاريخية، والاقتصادية، والإدارية والمالية، والمعرفية، كما يجب بحث الظواهر الطبيعية، والجهود البشرية في خدمة الإنسانية.
٥. درست وعرفت طبيعة الأرض والناس في عموم المناطق الجنوبية السعودية، وزرت بيوتات العلم القديمة، ووقفت على كثير من المكتبات الحكومية والأهلية، وشاهدت بعض المتاحف التاريخية الرسمية والفردية، وجلست مع عدد من المفكرين والباحثين والدارسين والمخططين، وصاحبت عشرات الأساتذة الجامعيين، والمعلمين في ميدان التربية والتعليم، ووجدت عندنا جميعاً قصوراً كبيراً في إدراك أهمية الموروث التاريخي والحضاري، بل إن الغالبية لا يلقون باللا لذلك، وهذا مما أسهم في ضياع هذا التراث سواء كان شفهيّاً أو مادياً^(٢). وإذا كان هذا الأمر السائد بين الناس في عصر الانفجار الثقافي والتقني والمعرفي، فإننا سوف نجني على أبنائنا وحفدتنا الذين يعيشون اليوم مع عالم التقنية والمعارف والثقافات الحديثة المتسارعة، ويجهلون موروث الآباء والأجداد والعلماء والأدباء القدماء.

(١) هذا ما عرفته وعاصرته وقرات عنه منذ خمسينيات القرن الهجري الماضي إلى وقتنا الحاضر، وهذه الحقبة التاريخية الحديثة والمعاصرة، لا يشبهها أي حقبة من حقب التاريخ القديم والوسيط والحديث، فهي فترة تطور ونمو وحضارة حديثة، وتستحق أن يصدر عنها مئات الكتب والبحوث والدراسات.

(٢) موروثنا القديم متنوع وجميل في مخطوطاته، ووثائقه، وأدواته التراثية الاجتماعية، والسياسية، والحربية، والاقتصادية، والثقافية، والتعليمية، والفكرية، وفي مروياته الشفاهية من حكم، وأهازيج، وروايات، وقصص وأحاجي، وأمثال، وألغاز، ومفردات، ولهجات ومصطلحات لغوية. نعم أجيال اليوم وبخاصة الشباب حتى سن الثلاثين والأربعين يجهلون الشيء الكثير من موروث الأوتل، بل أننا جميعاً لا نحرص على التوثيق وحفظ تراثنا المكتوب من وثائق، ومذكرات، وسجلات، ومدونات وغيرها. ويجب أن نغير هذه الثقافة عند الجميع، ونعمل على حفظ تراثنا وموروثنا الحضاري المدون والمكتوب.